

التنوع الصرفي في القراءات القرآنية وأثره في بناء المعنى التداولي للنص القرآني دراسة تحليلية

أ.م.د سعد صباح جاسم *

الملخص

يتناول هذا البحث التنوع الصرفي في القراءات القرآنية وأثره في بناء المعنى التداولي للنص القرآني، عن طريق دراسة ألفاظ مختارة مثل: (سكاري، مكانتكم، عظاما، يطيقونه...) للكشف عن الدور المحوري للبنية الصرفية في توجيه المعنى التداولي، ومدى تأثير التغيرات الصرفية على فهم المقاصد البلاغية والشرعية للنص. واعتمد البحث على منهج تحليلي لغوي، مع التركيز على التكامل بين البنية الصرفية والوظيفة التداولية للنص. وأظهرت النتائج أن التحولات الصرفية ليست فروقاً شكلية فحسب، بل هي آليات دقيقة تحدد اتجاه المعنى، وتضبط العلاقة بين النص وسياقه، وتكشف عن مرونة النص وقدرته على الجمع بين تعدد البنى الصرفية ووحدة المعنى التداولي. كما أن الترجيح بين القراءات يرتبط أساساً بتوافق البنية الصرفية مع الوظيفة التداولية داخل الآية، مما يعزز دقة التفسير ويحافظ على وحدة النص القرآني، ويؤكد أهمية الدراسات الصرفية التداولية في تحليل النصوص القرآنية وفهم أبعادها البلاغية والشرعية. الكلمات المفتاحية: التنوع الصرفي، القراءات القرآنية، البنية الصرفية، المعنى التداولي، التحليل اللغوي.

المقدمة

يمثل النص القرآني إنموذجاً فريداً للغة العربية، لما يمتاز به من تنوع صرفي ولغوي دقيق يتفاعل باستمرار مع السياق التداولي لكل آية. وتشير الدراسات المعاصرة إلى أن الاختلافات القرائية ليست مجرد فروق شكلية، بل تحمل دلالات لغوية دقيقة تؤثر بشكل مباشر في فهم المعنى التداولي للنص، وتفتح آفاقاً معمقة لفهم العلاقة بين البنية الصرفية والمعنى، ولفهم مرونة النص القرآني في إيصال مقاصده البلاغية والشرعية.

(*) جامعة المستنصرية / كلية الآداب .

saadsabah@uomustansiriyah.edu.iq

ويركز هذا البحث على دراسة التنوع الصرفي في القراءات القرآنية وأثره في بناء المعنى التداولي للنص القرآني، عن طريق تحليل كلمات مختارة للكشف عن الدور المحوري للبنية الصرفية في توجيه المعنى التداولي، وإبراز مدى تأثير التغيرات الصرفية على فهم المقاصد البلاغية والشرعية للنص، بما يحقق قراءة دقيقة للنص القرآني من منظور لغوي وشرعي متكامل.

واعتمد البحث منهجاً تحليلياً لغوياً موازاً بين القراءات المختلفة، مع التركيز على التكامل بين البنية الصرفية والوظيفة التداولية للنص؛ لتوضيح أثر الصرف في تكوين المعنى التداولي بصورة منهجية ودقيقة.

وتتجلى خطة البحث في مطلبين يسبقهما تمهيد عن الصرف والتداولية في النص القرآني، وتتلوها خاتمة بأبرز النتائج التي توصل إليها البحث، تناول المطلب الأول أمثلة من التصاريف الاسمية وأثرها التداولي، كالمشتقات، والمصادر، والجموع، لبيان كيفية توجيه المعنى داخل السياق القرآني. ودرس المطلب الثاني أمثلة من تصاريف الأفعال ودورها في المعنى التداولي، بما يشمل الفعل الثلاثي المجرد والفعل المزيد، لتوضيح أثر الصرف على الوظيفة التداولية للنص.

وبذلك سعى البحث إلى إبراز العلاقة التفاعلية بين البنية الصرفية والمعنى التداولي، وإظهار كيفية إسهام التنوع الصرفي في توسيع فهم النص القرآني وإدراك أبعاده البلاغية والشرعية بدقة علمية متكاملة.

وتجدر الإشارة بأن البحث تجنب التقديم التفصيلي للمشتقات والمصادر والجموع وغيرها من القواعد الصرفية المعروفة، حرصاً على تركيز الدراسة على الجوانب الصرفية ذات الأثر التداولي المباشر، والتي تكشف عن كيفية إسهام التنوع الصرفي في صياغة المعنى وضبط العلاقة بين البنية والسياق.

التمهيد

الصرف والتداولية في النص القرآني

يمثل النص القرآني إنموذجاً فريداً للتفاعل بين البنية الصرفية والمعنى التداولي، حيث لا يقتصر التنوع اللغوي على الشكل الخارجي للكلمة، بل يمتد ليشمل آليات دقيقة تؤثر في فهم المقاصد البلاغية والشرعية للنص. ومن هذا المنطلق، تأتي أهمية دراسة الصرف والتداولية بوصفها عنصرين متكاملين، يمكن من طريقهما تفسير اختلافات القراءات القرآنية بصورة منهجية وموضوعية.

ويلعب الصرف دوراً محورياً في ضبط المعنى داخل النص القرآني، وتوجيه القراءة نحو فهم متسق للآيات، خصوصاً عندما تتعدد القراءات وتختلف الصيغ الصرفية؛ لأن الصرف يشير إلى الهيكل الداخلي للكلمة

وتغيراتها البنيوية التي تحدد دلالتها الدقيقة (هنداوي، ١٩٨٩م، صفحة ١٥-١٦، وعبد الحميد، ١٩٩٥م، صفحة ٥، نهر، ٢٠٠٩م، صفحة ١٠).

وتساعد التداولية في النص القرآني على فهم غرض الآية ومراميها البلاغية والشرعية، وتبين كيفية تفاعل القراء مع النص عبر القراءات المختلفة؛ لأنها تُعنى بدراسة كيفية تحقق المعنى في سياق الاستعمال، أي ما يتجاوز المعنى اللغوي المجرد ليشمل الوظيفة الاتصالية والدلالة السياقية (صحراوي، ٢٠٠٥م، صفحة ٥).

ويتجلى البحث في أن الصرف والتداولية لا يستقل أحدهما عن الآخر، بل يشكلان وحدة تفاعلية متكاملة. فاختلاف الصيغ الصرفية في الكلمات مثل (مذبذبين، مكانتكم، رمزا، سكارى، غيابات، عظاما، تمسوهن، يطيقونه) يؤدي إلى تحولات دقيقة في المعنى التداولي، ويكشف عن مرونة النص وقدرته على الجمع بين تعدد البنى الصرفية ووحدة المقاصد الدلالية.

المطلب الأول

التصاريح الاسمية وأثرها التداولي

أولاً: المشتقات وأثرها التداولي - (مذبذبين) أنموذجاً

وذلك في قوله تعالى: ﴿مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَاءٍ وَلَا إِلَى هُوَاءٍ﴾ [النساء: ١٤٣].

إذ يبرز الخطاب القرآني في هذه الآية بُعداً تداولياً نفسياً واجتماعياً يتمثل في تصوير حالة التردد العقائدي لدى المنافقين الذين لا يثبتون على مبدأ، ولا ينحازون انتفاءً واضحاً بين الإيمان والكفر. هذا الوصف التداولي لا يقتصر على البعد السلوكي بل يتعداه إلى توجيه المتلقي لفهم أثر التذبذب على الاستقرار العقدي والاجتماعي. ويكمن المقصد الخطابي في تعرية هذه الحالة السلوكية لإثبات تناقضها مع مقتضى الإيمان، وتقديمها على أنها خطر يهدد بنية المجتمع الإيماني. وقد فسّر الطبري الآية بأن المقصود بها هم المنافقون الذين يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر، فيميلون تارة إلى المؤمنين وتارة إلى الكافرين (الطبري (ت ٣١٠هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٢ / ٩٩). وأشار ابن كثير إلى أنها حالة النفاق التي لا تستقر على حال، بل تتذبذب بحسب المصالح والأهواء (الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ١٩٩٩م، صفحة ٢ / ٢٠٩). ومن وجهة نظر تداولية فإن هذا الخطاب يُعد تعبيراً عن التذبذب التداولي داخل البنية التواصلية للمجتمع، إذ ينقُص الموقف على الثبات، ويفتح المجال لعدم الثقة في الخطاب الصادر من المذبذب (السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ١ / ٧٥).

وتعددت القراءات في لفظ (مُذَبِّذِينَ)، فقرأه الجمهور (القرطبي (ت ٦٧١هـ)، ١٩٦٤م، صفحة ٥ /

٣٦٢) بفتح الذالين على صيغة اسم المفعول، في حين قرأه ابن عباس (ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، ١٩٦٠م، صفحة ١ / ٢٠٣، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ١٩٩٥م، صفحة ١ / ٥٧٤) بكسر الذال الثانية، على وجه اسم الفاعل، أي: مذذبين أنفسهم أو دينهم، أو بمعنى متذبذبين، على نحو ما في (صلصل وتصلصل) من الترادف في المعنى. وورد في قراءة أبي: (متذبذبين)، على صيغة اسم الفاعل من الفعل (تذبذب)، وقرأ الحسن: (مَذْبَذِبِينَ)، بفتح الميم والذالين. وقد رد ابن عطية هذه القراءة (النحاس (ت ٣٣٨هـ)، ١٩٨٨م، صفحة ١ / ٩٨، والشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ١ / ٥٣٦)، مع أن بعض الدارسين وجهوها على أساس إتيان حركة الميم لحركة الذال، كما أتبع حركة الميم لحركة النون في نحو (ميتتن)، مع وجود حاجز بينها، مما يجعل الإتيان في هذه القراءة أولى؛ لانتفاء الحاجز. ومع ذلك يبقى هذا التوجيه في عداد الشذوذ، إن صحّت نسبة القراءة إلى الحسن (ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ٤ / ٢٦٩، والسفاسقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٤٦٧، وأبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٤ / ١١٠ - ١١١).

وتعدّ صيغة (مَذْبَذِبِينَ) في الآية مثالا على التداخل بين البنية الصرفية والدلالة التداولية، إذ تحتمل الكلمة أن تكون اسم فاعل أو اسم مفعول، مما يمنح النص غنى دلاليًا متعدد الأبعاد. ولكونها اسم فاعل تُوصف الذبذبة فعلاً نابغاً من المنافقين أنفسهم، يعكس ترددهم وسلوكهم المتلون، في حين إذا فسّرت كاسم مفعول فإنها تشير إلى خضوعهم لتأثير خارجي يُحدث الذبذبة فيهم. وهكذا تسهم البنية الصرفية في تعزيز البعد التداولي للآية، وتكشف عن مقصد قرآني تويحيي مركّب يستهدف كشف تناقضهم من حيث الفعل والتأثر.

وبالنظر إلى السياق التداولي الذي وردت فيه لفظة (مذبذبين) في سورة النساء، يلاحظ أن الخطاب موجّه إلى بيان تلوّن المنافقين وترددهم بين فريقَي الإيمان والكفر - كما تقدّم -. ومع أن البنية الصرفية للكلمة تحتمل دلالتين اسم الفاعل واسم المفعول، فإن القراءة التداولية للسياق تُرجّح دلالة اسم الفاعل، إذ يُحمّل النص المنافقين مسؤولية هذا السلوك الذبذبي، ويُدين موقفهم المتقلب، مما يجعل من لفظة (مذبذبين) وصفاً فاعلياً يعبر عن فعل متعمد يصدر عنهم، لا عن أثر واقع فيهم فقط.

ثانياً: المصادر وأثرها التداولي - (رَمْزًا، مَكَانَتِكُمْ) أنموذجاً

١- رَمْزًا

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ آتَيْكَ أَلا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران: ٤١].

إذ تعتمد هذه الآية في بنيتها التداولية على تفعيل لغة غير لفظية (الرمز) بوصفها أداة للتواصل، في مقابل

تعطيل التواصل الشفهي (الكلام). ويُستخلص من هذا التحول أن الخطاب القرآني هنا يستثمر الإمكانيات المتعددة للتواصل الإنساني، إذ يُحوّل (الصمت) إلى علامة، و(الرمز) إلى أداة دالة. وهذا ما يبرز في وعد زكريا (عليه السلام) بآية خارقة في سياق بشارة ولده يحيى، حيث كان الصمت نفسه دليلاً على وقوع المعجزة. وفي التفسير فالآية تدل على علامة إلهية خارجة عن الطبيعة تدعم الوعد الإلهي (الطبري (ت ٣١٠هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٦ / ٤٩٤)، بينما فسّر الامتناع عن الكلام بكونه آية على تحقق الحمل (الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ١٩٩٩م، صفحة ٢ / ٤٣٥)، وركّز بعض المفسرين على كون الرمز وسيلة شرعية للتواصل عند انقطاع اللفظ (السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ١ / ١١٤). ومن منظور تداولي تقدم الآية درساً بلاغياً حول انتقال الخطاب من اللفظي إلى الرمزي، مما يعزز مفهوم (الإشارة التداولية) كوسيلة لفهم التفاعل الإنساني في النص القرآني.

وقد ورد في لفظ (رُمَزًا) قراءتان (السفاسي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٨٠، الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٣ / ١٤٠) أثرتا في البنية الصرفية والدلالة:

١- (رُمَزًا) بضم الراء والميم، وهي قراءة ابن وثاب (الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، ١٩٨٢م، صفحة ٢٠، والزنجشيري (ت ٥٣٨هـ)، ١٩٩٥م، صفحة ١ / ٤٢٩)، وقد وُجّهت على أنها إمّا:

- جمع تكسير على وزن (فُعَل)، على نحو: رسول - رُسُل، فتكون الكلمة جمعاً لكلمة (رمز) بمعنى الإشارة أو العلامة.

- أو أنها مصدر على وزن (فُعَل) أيضاً، كما في (يُسِر) مصدر (يَسِر)، فيكون معناها الإيحاء أو الإشارة بوجه عام.

٢- (رَمَزًا) بفتح الراء والميم، وهي قراءة الأعمش (النحاس (ت ٣٣٨هـ)، ١٩٨٨م، صفحة ١ / ٣٧٥، والدمياطي (ت ١١١٧هـ)، ٢٠٠٦م، صفحة ١ / ٤٧٨)، ووجهها أنها جمع اسم فاعل، أي جمع (رامز)، على وزن (فَاعِل)، فتكون مثل (خادم - خَدَم) و(كاتب - كَتَبَ)، ويكون المعنى: الذين يُصدرون الإشارات أو يُومنون.

ويلاحظ أن الاختلاف بين القراءتين يكشف عن تنوع دلالي ناتج عن التغيير في البنية الصرفية، فقراءة الضم تحتمل المصدرية أو الدلالة على الجمع، بينما قراءة الفتح تميل إلى الدلالة على الفاعلية، وكلتاهما تستندان إلى أوزان صيغية قياسية في العربية.

وبالنظر إلى البنية الصرفية للكلمة فإن (رَمَزًا) تُعد المصدر الصحيح للفعل (رَمَزَ)، وتُفيد الدلالة على الإشارة غير اللفظية، وهو ما ينسجم مع قوله تعالى: «أَلَا تَكَلَّمُ النَّاسُ». أما (رَمَزًا) فهي قراءة تفتح باب التأويل إلى دلالة قد تُفهم على أنها كلام خافت أو غير واضح، مما يُضعف المقصد التداولي للآية، الذي يقوم على إبراز المعجزة في انقطاع كلام زكريا إلا من الإشارة. لذا فإن الترجيح الصرفي والتداولي يُؤيد قراءة (رَمَزًا) بالفتح، لانسجامها الدقيق مع السياق القرآني.

٢- مَكَائِتِكُمْ

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَائِتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الانعام: ١٣٥]

إذ يتجلى البعد التداولي في هذه الآية من طريق خطاب يأمر بالعمل ويهيئ لسياق حوارِي يتقابل فيه الطرفان: النبي والمشركون. وتوظف الصيغة الإنشائية (اعملوا) في إطار إنذاري تحذيري، يفيد التهديد لا الإباحة، في حين تأتي (إني عامل) بصيغة إخبارية تأكيدية تُبرز استقلالية الموقف النبوي، ليشكل ثنائية خطابية تُفضي إلى نتيجة مؤكدة في قوله: (فسوف تعلمون). وهذا التدرج الخطابي يخلق بنية تداولية مشحونة بالتحدي والتوكيد، ما يعكس ثقة المتكلم (النبي) في صدق دعوته ونتائجها المستقبلية. وقد أوضح الطبري أن الآية تدعو كل فريق إلى أن يلتزم موقفه، حتى يأتي الحكم من الله تعالى (الطبري (ت ٣١٠هـ)، م ٢٠٠١، صفحة ٧ / ٧٩)، ويبن ابن كثير أن ذلك إشارة إلى الحسم بين الفريقين بالإيمان أو الهلاك (الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، م ١٩٩٩، صفحة ٥ / ٣١٠). أما السعدي فاعتبرها من مقامات التهديد للمعاندِين ومن مقامات الثقة للمؤمنين (السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، م ٢٠٠٠، صفحة ٣ / ٧٥). ومن منظور تداولي تعكس الآية استراتيجية خطابية تقوم على توزيع أدوار متقابلة، تتصاعد إلى نتيجة يُسلم بها الطرف الآخر، وتفتح مجالاً للقراءة مقاصدية في طبيعة الحجة والاستدلال ضمن بنية النص القرآني.

وتعددت القراءات في لفظ (مَكَائِتِكُمْ)، فقرأه الجمهور بصيغة الإفراد (ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، م ١٩٨٠، صفحة ٢٦٩، والقيسي (ت ٤٣٧هـ)، م ١٩٧٩، صفحة ١ / ٤٥٢)، وهي قراءة تُحمل على المصدر (مكانة) من الفعل (مَكَّنَ)، فالليم أصلية، ويُفهم المعنى في ضوء هذه القراءة على أنه بحسب منزلتكم وتمكنكم في الدنيا. وقيل: إن الميم زائدة، ووزن الكلمة حينئذٍ (مَفْعَلَةٌ) من مادة (كان)، أي أن المقصود بها الجهة أو الحال، وتُفرد (مكانة) لأنها مصدر، والمصادر في الأصل مفردة (السفاسقي (ت ٧٤٢هـ)، م ١٩٩٨، صفحة ١٦٥).

أما قراءة أبي بكر - كما نقل أبو علي الفارسي - (ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، م ١٩٨٠، صفحة ٢٦٩، وأبو زرعة، م ١٩٩٨، صفحة ٢٧٢) فجاءت بصيغة الجمع (مكاناتكم) في جميع مواضع القرآن، وقد وُجّهت هذه

القراءة على أساس أن المصادر قد تُجمع في بعض المواضع، كما في نحو (الخلوم) جمع (الحلم) و(الأحلام)، وهو ما يدل عليه شطر البيت الشعري من بحر المتقارب (الأعشى (ت ٧هـ)، ١٩٩٢م، صفحة ١٥٥):

فأما إذا جلسوا بالعشي فأحلام عادٍ وأيدٍ هُضمٌ

ويكشف هذا التعدد القرائي عن مرونة في توظيف المصدر بين الأفراد والجمع بحسب مقتضى السياق وغايات التعبير، مما يثري الدلالة ويُعمق مستويات المعنى في الخطاب القرآني.

ومن التحليل الصرفي والتداولي لاختلاف القراءات في لفظ (مكانتكم) بين صيغة الجمع والمفرد، تُرَجِّح قراءة الجمع (مكانتكم) لانسجامها مع سياق الآية التي تتوجّه إلى جماعة (يا قوم)، وتتضمن فعل أمر جماعي (اعملوا)، كما أن البنية الصرفية للجمع تُعزّز المقصد التداولي للخطاب، الذي يقوم على توجيه تحذير جماعي للمشركين وإمهالهم قبل تحقق العقاب. أما قراءة المفرد فتُضعف هذا البعد التداولي، إذ تختزل الخطاب إلى مواجهة فردية لا تليق بسياق التحدي القرآني الجماعي.

ثالثاً: الجموع وأثرها التداولي - (سُكاري، عظاما، غيابات) أنموذجاً

١ - سُكاري

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: ٤٣].

إذ تعكس هذه الآية توجيهاً تداولياً دقيقاً يستهدف الحالة الذهنية للمكلف، إذ يربط بين وضوح الوعي وصحة العبادة. فالنهْي عن (القرب من الصلاة) في حالة السكر لا يُفهم على المستوى الفقهي فحسب، بل على المستوى التداولي الذي يشترط صفاء الذهن والإدراك الكامل عند الدخول في التواصل مع الله تعالى. ويُوظف النداء بـ (يا أيها الذين آمنوا) بوصفه إطاراً تداولياً جامعاً يهيئ المتلقي لتلقي أمر تعبدي بتركيز وجداني. وقد ذكر بعض المفسرين أن النهي كان في مرحلة ما قبل التحريم الكامل للخمر، فكانت هذه الآية من آيات التدرج (الطبري (ت ٣١٠هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٥ / ٦١)، وذهب غيرهم إلى أن العلة في النهي هي (حتى تعلموا ما تقولون) (الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ١٩٩٩م، صفحة ١ / ٥٣٥)، ما يؤكد المعنى التداولي للانتباه الذهني (السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ١ / ١٨١). وعلى هذا تُقرأ الآية في سياق الاستراتيجية الخطابية للقرآن الكريم القائمة على مبدأ التدرج في توجيه المخاطبين؛ إذ تُبرز عناية الخطاب القرآني بأن يقع الفعل التعبدي في إطار من الوعي بالمقول وإدراك دلالته، بما يضمن انتظام التفاعل التخاطبي بين العبد وربّه في الصلاة وبحق مقصودها التعبدي.

ووردت في لفظ (سُكَارَى) عدد من القراءات التي أثرت على بنية الكلمة الصرفية، وتنوّعت التوجيهات لها، ومنها (السفاقيسي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٣٦٨):

١- (سُكَارَى) بضم السين، وهي قراءة الجمهور (الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٣/٢٥٥، والدمياطي (ت ١١١٧هـ)، ٢٠٠٦م، صفحة ١/٥١٢)، وقد اختلفوا في توجيهها:

• فذهب سيبويه إلى أنها جمع تكسير وذلك بقوله: ”وقد يكسرون بعض هذا على فعّالٍ وذلك قول بعضهم: سُكَارَى وعُجَالَى” (سيبويه (ت ١٨٠هـ)، ١٩٨٨م، صفحة ٢/٢١٢).

• وقيل: إنها اسم جمع، ونُسب هذا القول إلى سيبويه أيضًا، كما نقل ابن الباذش عنه ذلك، ثم علق بقوله: وهذا هو القياس، لأنه جاء على بناء لم يأت عليه جمع ألبتة (الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٣/٦٤٩).

• وقد رجّح السيرافي (السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، ٢٠٠٨م، صفحة ١٠/٢٢٤) أن الكلمة جمع تكسير، وعدّ أن هذا ما يدل عليه نص سيبويه نفسه، مما يرجح هذا التوجيه صرفياً.

٢- (سُكَارَى) بفتح السين، وهي قراءة لبعض الفرق، وقد وُجّهت على أنها جمع تكسير أيضًا، تشبه في صيغتها (نَدَامَى) جمع (نَدَمَان)، أي من باب فَعْلَان - فَعَالَى.

٣- (سُكَرَى) بفتح السين وسكون الكاف، وهي قراءة النخعي (ابن جني الموصل (ت ٣٩٢هـ)، ١٩٦٠م، صفحة ١/١٨٨، وابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ٤/٧١، والقرطبي (ت ٦٧١هـ)، ١٩٦٤م، صفحة ٥/١٧٧)، وفي توجيهها احتمالان:

• أن تكون صفة لمفرد مؤنث، كما في (امرأة سُكَرَى).

• أو أن تكون جمع تكسير لـ(سُكَرَان)، على وزن (فَعْلَى)، وهو ما رجّحه ابن جني.

٤- (سُكَرَى) بضم السين، وهي قراءة الأعمش، ووجهت بأنها صفة لجماعة، أي (وأنتم جماعة سُكَرَى)، على غرار (حُبْلَى)، وهو أسلوب وارد في لغة العرب في وصف الجمع بصفة مفردة مؤنثة ذات دلالة جماعية.

ويلاحظ أن هذه القراءات تُبرز مرونة البناء الصرفي في العربية، وتعدد الأوزان التي يمكن أن تحملها الصفات الدالة على الحال، خصوصًا في سياقات الشذوذ والاضطراب كالسُّكْر، مما يُغني الدلالة القرآنية بأساليب متعددة في التعبير عن هيئة المخاطبين.

ويبدو أن كلمة (سُكَّارى) في هذه الآية جاءت بصيغة جمع التكسير على وزن (فَعَالَى)، وهي قراءة الجمهور، في مقابل قراءة شاذة بصيغة (سَكَّارى) على وزن (فَعَالَى). وبالنظر إلى البنية الصرفية فإن (سُكَّارى) أقرب إلى القياس العربي في جمع (فَعْلَان)، كما أن استعمالها التداولي يُعبّر بدقة عن حالة عقلية مؤقتة تُوجب الحذر. أما (سَكَّارى) فهي أقل تداولاً وأضعف انسجاماً مع السياق الخطابي التشريعي. لذا يُرجح استعمال (سُكَّارى) في ضوء المقارنة الصرفية والدلالية التداولية.

٢- عظاما

وذلك في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

إذ يظهر النسق التداولي في هذه الآية عن طريق البنية التصاعدية لخلق الإنسان، حيث تنبني الجملة على تسلسل دلالي يُجسّد مراحل الخلق بطريقة حسّية وذهنية في آن واحد. فالأفعال (خلقنا) ثم (كسونا) تفيد التتابع الزمني والفعل، ما يعزز وظيفة الإفهام والتصوير. هذا التدرج في التكوين يفتح للمتلقى أفقاً معرفياً يُمكنه من إدراك قدرة الله بالتدبر في ذاته. وقد فسّر هذا التحول من المضغعة إلى العظام ثم إلى اللحم بوصفه تطوراً في الخلق يجري بأمر الله وبدقة نظامية (الطبري) (ت ٣١٠هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ١٨ / ٣٣)، وهو إعجاز في التكوين (ابن كثير الدمشقي) (ت ٧٧٤هـ)، ١٩٩٩م، صفحة ٥ / ٤٥٩)، ودليل واضح على البعث والمآل (السعدي) (ت ١٣٧٦هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ٥ / ٣٥). فالتداولية هنا تعمل على توجيه وعي الإنسان من الإدراك الحسي (الخلق) إلى المعنى العقائدي (الإيمان بالبعث).

وتعددت القراءات في لفظ (عِظَامًا) (السفاسي) (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٦)، فقرأه الجمهور (ابن الجزري) (ت ٨٣٣هـ)، ١٩٣٢م، صفحة ٢ / ٣٢، و ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، ١٩٨٤م، صفحة ١٨ / ٢٢) بالجمع في الموضعين: (عِظَامًا) و(الْعِظَامَ)، بينما قرأه أبو بكر عن عاصم، ويونس عن أبي عمرو (أبوزرعة، ١٩٩٨م، صفحة ٤٨٢، وابن الجزري) (ت ٨٣٣هـ)، ١٩٣٢م، صفحة ٢ / ٣٢٨) بالإفراد في الموضعين، وقرأه ابن محيصن بإفراد الأول وجمع الثاني، على العكس من قراءة مجاهد (ابن جني الموصلي) (ت ٣٩٢هـ)، ١٩٦٠م، صفحة ٢ / ١٣٠، والخطيب، ٢٠٠٢م، صفحة ٤ / ٢٠٣)، التي جاءت بجمع الأول وإفراد الثاني.

وقد وجّه أبو علي الفارسي (سيبويه) (ت ١٨٠هـ)، ١٩٨٨م، صفحة ٤ / ٣٢١، والنحاس (ت ٣٣٨هـ)، ١٩٨٨م، صفحة ٢ / ٤١٦) قراءة الأفراد على أنها اسم جنس، أي أن لفظ (عِظَامًا) يُعامل معاملة المصادر أو الأجناس، كقولنا: الإنسان، الشاة، البعير، وهي أسماء مفردة لفظاً لكنها تدل على الجمع معنى، مما يُغني عن التصريح بالجمع.

ووافق هذا التوجيه قول الزمخشري (الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ١٩٩٥م، صفحة ٢٧/٣، والفراء (ت ٢٠٧هـ)، ١٩٥٥م، صفحة ٢/٢٣٢) إذ يرى أن الواحد وُضع موضع الجمع لزوال اللبس، لأن الإنسان ذو عظام كثيرة (السفاسقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٦)، أي أن ورود المفرد لا يؤدي إلى غموض المعنى، إذ تُفهم الكثرة من السياق.

غير أن أبا حيان الأندلسي (الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٦/٣٩٨) ردّ هذا التوجيه، معللاً بأن وضع الواحد موضع الجمع لا يجوز عند سيبويه وأصحابه (سيبويه (ت ١٨٠هـ)، ١٩٨٨م، صفحة ١/٢١٠) إلا في حال الضرورة الشعرية، واستشهد بما أنشده النحاة في هذا الباب، من قول الشاعر

[بلا غرو وعجزه: فان زمانكم زمن خميص]: [من الطويل]

كُلُوا في بعض بطونكم تَعَفُّوا (السفاسقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٧)
وفيه وضع المفرد (بطن) موضع الجمع (بطون)

وقد أشار أبو علي (ابن مهران (ت ٣٨١هـ)، ١٩٧٧م، صفحة ٢/٥٢) إلى هذا بأن المقصود ليس على كلاً في بعض بطونكم، ولكنه على ما انشد أبو زيد (البيت للاسود بن يعفر بن عبد الاسود بن نهشل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، ١٩٩٦م، صفحة ١/٣١): [من الرجز]:

لقد تَعَلَّت على أيانق
صُهْبٍ قليلات القُرَادِ اللازق
وفيه جمع ما يُظن إفراده مع بقاء المعنى الجنسي.

أما الفراء (الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ١٩٥٥م، صفحة ٢/٢٣٢، وابن جني (ت ٣٩٢هـ)، ١٩٦٠م، صفحة ٢/١٣٠) فقد أخذ بالقول بأن الأفراد في هذا الموضوع يُراد به الجنس، وأوضح أن هذا الأسلوب البلاغي يستند إلى قاعدة دلالية، وهي أن الواحد قد يدل على الجمع من حيث كونه موضوعاً للجنس، فكأن المفرد يقوم مقام الجمع من جهة المعنى، وإن اختلف معه في الصورة اللفظية.

وبذلك يظهر أن تعدد القراءات بين الأفراد والجمع في لفظ (عِظًا) ينتمي على أسس دلالية وصرفية دقيقة، تتصل بطبيعة الألفاظ الجنسية، وإمكانية الأفراد للتغليب أو الاختصار دون الإخلال بالمعنى، وهو ما يُضفي على الخطاب القرآني مرونة تعبيرية ومجالاً رحباً لتعدد توجيهه.

ويبدو أن قراءة الجمهور بصيغة الجمع (عِظًا) هي التي تُعبّر عن نشوء الهيكل العظمي المتكامل من المضغة. أما القراءة بصيغة المفرد (عِظًا) التي تُحمل على إرادة الجنس فهي أضعف من حيث الدقة التداولية؛

لأنها لا تنقل تطور البنية الجسمية للجنين بدقة. ومن هنا فإن قراءة الجمع أرجح؛ لأنها أبلغ تصويراً لتعدد العظام، وأقوى انسجاماً مع المقصد البياني والسياق الخَلْقِي في الآية.

٣- غيابات

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠].

إذ تُشكّل هذه الآية وحدة سردية تداولية عميقة، حيث تبرز نية الإيذاء في غلاف التخطيط الناعم؛ فقد اختار إخوة يوسف (عليه السلام) «غيابة الجب» لإخفائه، لا قتله، مما يعكس تردداً أخلاقياً في فعل الجريمة. ويتجلى البعد التداولي في إظهار المشهد كحوار ضمني بين العقل (في الخطأ) والعاطفة (في التخفيف من القتل). أما يلتقطه بعض السيارة فهي بنية احتمالية تُدخل عنصر القدر في الحدث، مما يحول الواقعة من تدبير بشري إلى تصريح إلهي. ويرى بعض المفسرين أن هذا القول جاء بعد مشاورة إخوة يوسف في كيفية التخلص منه (الطبري (ت ٣١٠هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ١٢ / ٢٢٢)، ويبيّن آخرون أن هذا القول صدر من أخ فيهم فيه شيء من الرحمة (ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ١٩٩٩م، صفحة ٤ / ٣٢٨)، وقد جعل الله السيارة سبباً في إنقاذه (السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ٤ / ٩٨). ويُعد الخطاب هنا جزءاً من استراتيجية قرآنية تُبرز خيوط القدر في نسيج المؤامرة، ليؤكد أن التداول الحقيقي لا يكون فقط بين البشر، بل يشمل تدبير الله.

وقد وردت في لفظ (غَيَابَتِ) قراءات متعددة تنوعت في الصيغة الصرفية والبناء الدلالي، أبرزها:

١- قراءة الجمهور (أبو زرعة، ١٩٩٨م، صفحة ٣٥٥): (غَيَابَتِ) بصيغة المفرد، وتُحمل على أنها اسم لما يُغَيَّب فيه، أي الموضع الذي يُخفى فيه الشيء، كقعور البئر أو الجب.

٢- قراءة نافع (أبو زرعة، ١٩٩٨م، صفحة ٣٥٥): (غَيَابَاتِ) بالجمع، وقد وجهها بعضهم بأن الجمع يدل على تعدد المواضع داخل الجب التي يمكن أن يُغَيَّب فيها الشيء، فكل جزء من تلك المواضع غيابة، وبهذا المعنى قال أبو البقاء العكبري (العكبري (ت ٦١٦هـ)، ١٩٥٧م، صفحة ٢ / ٧٢٤): "أو يكون في الجب مواضع على ذلك"، أي أن تعدد المواضع يبرر الجمع (السفاقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٩٢ - ٩٣).

٣- قراءة ابن هرمز (السفاقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٩٢ - ٩٣): (غَيَابَاتِ) بالتشديد والجمع، وهي صيغة تدل على المبالغة، حيث أخذت الكلمة على أنها اسم فاعل مبالغ فيه، أي كثرة الغيب، وقد وجهها أبو علي الفارسي بأن وزنها من قبيل ما ذكره سيبويه في نحو: فَيَاد (يراد به ذكر البوم، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ١٩٥٥م، صفحة ٣ / ٣٤١)، وهو بناء للمبالغة في الحدث. وقد استشهد ابن جني (ابن جني (ت ٣٩٢هـ)،

١٩٦٠م، صفحة ١/ ٣٣٣) بوجود أبنية مشابهة في كلام العرب مثل: (التيار) للموج، و(الفخار) للزينة أو الزخرف، وهي صيغ فيها مبالغة مشتقة من الثلاثي على وزن (فَعَّال)

غير أن ابن عطية تحفظ على هذا التوجيه وقال: ” وفي تشبيه (غِيَابَات) بهذه الامثلة نظر لان (غِيَابَة) جارية على فعل ” (ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ٣/ ١٢٢) أي أنها ليست من أصل ثلاثي مجرد يصاغ منه فَعَّال للمبالغة.

٤- وقد نقل أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٥/ ٢٨٥) ما أشار إليه صاحب اللوامح من جواز حمل (غِيَابَات) على صيغة (فَعَّالَات)، مثل حَمَامَات، وهي صيغة دالة على التكثير والمبالغة، أو على فَعَّالَات مثل شيطانَات، وكلا الوزنين يفيدان المبالغة بحسب السياق.

٥- قراءة الحسن: (عَيْبَة) بتخفيف الياء، وتوجّه على وجهين (السفاحسي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٩٣، والأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٥/ ٢٨٥):

الأول: أن تكون مصدرًا، من غاب يغيب، كقولهم: غَلَبَة مصدر غَلَبَ.

الثاني: أن تكون جمع تكسير لـ(غائب) كصانع.

ويُلاحظ في مجموع هذه القراءات أن البناء الصر في يتنوع بين المفرد والجمع والمبالغة والمصدرية، بما يعكس مرونة البنية العربية وقدرتها على التعبير عن الدلالات الدقيقة عن طريق تغيّر الصيغ، كما أن توجيه القراءات اتكأ على قواعد صرفية معروفة ومقيسة، ولو أن بعضها محل نظر من بعض النحاة.

ويبدو أن ما ورد في هذه الآية استعمال (غِيَابَة) بصيغة المفرد، بينما أورد بعض المفسرين صيغة الجمع (غِيَابَات) في سياق التفسير لا القراءة. وبالتحليل الصر في فإن (غِيَابَة) على وزن (فَعَّالَة) تدل على موضع شديد الغيبة، وهي صيغة قياسية مناسبة لمقام الإشارة إلى موضع بعينه داخل الجب. أما من الناحية التداولية فإن استخدام المفرد يبرز القصد المباشر والإرادي في إلقاء يوسف في نقطة واحدة محددة، وهو ما يتسق مع بناء الحدث القرآني. في حين أن (غِيَابَات) تفيد التعدد، مما يُضعف تركيز الصورة الدرامية. لذلك تُرجّح قراءة المفرد (غِيَابَة) لما تحقّقه من دقة صرفية، وتكثيف دلالي تداولي، واتساق مع المقصد البياني للنص.

المطلب الثاني

تصارييف الأفعال ودورها في المعنى التداولي

أولاً: الفعل الثلاثي المجرد وأثره التداولي - (تمسوهن) أنموذجاً

وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة:

٢٣٦].

إذ تعكس هذه الآية نمطاً تداولياً قائماً على رفع الحرج وتنظيم التعامل الإنساني في حالات فسخ النكاح قبل الدخول. ويتجلى الأسلوب التداولي في استعمال (لا جناح عليكم)، وهو رفع للعتب الديني والاجتماعي، يقدم الطلاق في هذا الموضوع بوصفه خياراً غير مُدان متى تم وفق حدود الشرع. وينقسم الخطاب بين شرطين: عدم المسّ، وعدم الفرض، مما يضبط المعاملة ويوجه إلى العدل في العلاقات. وبذلك يرى أهل التفسير أن الآية بيان لحكم من طلق قبل الدخول وقبل أن يفرض لها مهراً (الطبري (ت ٣١٠هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٢ / ٥٤٢)، وهو تيسير ربّاني (ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ١٩٩٩م، صفحة ١ / ٢٦٤)، فيه رعاية لحال الزوجين معاً (السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ١ / ٨٧). فالتداولية هنا تُسهم في بناء خطاب تشريعي مرن، يراعي الحالة النفسية والاجتماعية

وتعددت القراءات في: (تمسوهن)، فقرأه حمزة والكسائي: (تماسوهن)، بصيغة المضارع من الفعل المزيد (ماسّ)، وهو من باب المفاعلة، وقرأ باقي السبعة: (تمسوهن) من الفعل الثلاثي (مسّ) (ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، ١٩٨٠م، صفحة ١٨٤، والفارسي (ت ٣٧٧هـ)، ١٩٨٠م، صفحة ٢ / ٢٥٣، والسفاسقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٦٠٢)، وهي القراءة التي رجّحها أبو علي الفارسي، بناءً على القياس الصرفي، إذ إن أفعال هذا الباب - أي الأفعال الدالة على المقاربة الجنسية - تأتي غالباً ثلاثية، نحو: نكح، سفد، قرع، دقف، ضرب الفحل (السفاسقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٦٠٢، و الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٢ / ٢٣١)، مما يُرجح الاقتصار على الفعل المجرد دون المزيد.

غير أن السفاسقي خالف هذا الترجيح، وبين وجهها للقراءة الثانية (بالمفاعلة)، فقال: " قلت: ووجه الثانية أن (فَاعَلَ) و(فَعَلَ) قديراد بكلّ منهما ما يُراد بالآخر، نحو: (قَرَّ) و(استقرّ)، و(علا قرنه) و(استعلاه)، وفي التنزيل: " وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ " [الصفافات : ١٤]، وكذلك (عَجِب) و(استعجب) » (الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، ١٩٨٠م، صفحة ٢ / ٢٥٥، و القيسي (ت ٤٣٧هـ)، ١٩٧٩م، صفحة ١ / ٢٩٨، والسفاسقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٦٠٢).

التنوع الصرفي في القراءات القرآنية وأثره في بناء المعنى التداولي للنص القرآني

ووجه الدلالة هنا أن الزيادة في البناء لا تستلزم اختلافاً في المعنى دائماً، بل قد تؤدي الوظيفة الدلالية نفسها، ما دام السياق يدل على المراد.

وتكشف هذه القراءات عن ثراء الاشتقاق القرآني، واتساع العربية في التنوع بين الأفعال الثلاثية والمزيدة مع تقارب المعنى، فضلاً عن إبراز قدرة البناء الصرفي على استيعاب المعاني الدقيقة، سواء بالاقصار أو بالمفاعلة.

ويبدو من الوجهة الصرفية أن قراءة (تمسّوهن) أكثر مباشرة ووضوحاً في الدلالة على الجماع، بينما (تماسّوهن) توحى بتفاعل لا يلزم منه تمام الاتصال الجنسي، مما يُضعف بناء الحكم الفقهي. أما تداولياً فإن القراءة الثلاثية أقرب لمقتضى البيان القرآني التشريعي؛ لأنها تحقق الاقتصاد اللغوي والدلالة القضائية القطعية. لذا تُرجّح قراءة (تمسّوهن) على أساس الصرف والدلالة والسياق

ثانياً: الفعل المزيد وأثره التداولي - (يطيقونه) أنموذجاً

وذلك في تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

إذ تنقل هذه الآية وجهاً تشريعياً يجمع في طبائعه مرونة تداولية عظيمة، فهي تبيح لغير القادرين على الصيام بدنياً أو اجتماعياً (من «يطيقونه» أي يقدرون عليه بمشقة)، أن يفدوا عن الصيام بإطعام مسكين. وهنا تتحول العبادة من فعل بدني إلى فعل اجتماعي، ما يبرز مقصدًا تداولياً رحيماً يراعي اختلاف الأحوال. وقد فسّر الطبري أن المقصود هم كبار السن الذين يشق عليهم الصيام (الطبري (ت ٣١٠هـ)، ٢٠٠١م، صفحة ٣ / ٤٤٠)، وذهب غيره إلى أنها كانت رخصة في بداية التشريع ثم نسخت لإلحاح كبار السن (ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، ١٩٩٩م، صفحة ١ / ٤٩٦)، ويدل هذا كله على اليسر في التشريع الإسلامي (السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ١ / ١٤٥). وتسير التداولية في هذه الآية في منحى مقاصدي يربط بين العدل والرحمة ويحوّل الفعل الفردي إلى أثر اجتماعي.

وقد ورد في (يُطِيقُونَهُ) عدد من القراءات المتنوعة في البناء الصرفي، بين المجرد والمزيد، والمبني للفاعل والمبني للمفعول، وهي على النحو الآتي (السفاقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٤٨٤، والأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٢ / ٣٥):

١- (يُطِيقُونَهُ) وهي قراءة الجمهور، من الفعل (أطاق)، على وزن (أفعل)، وتدلل على القدرة والمجهود، وهي القراءة المشهورة المعتمدة.

٢- (يُطَوَّقُونَهُ) بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الواو، وهي قراءة حميد، وقد اختارها السفاقي نقلًا عن شيخه، معللاً بأنها الأصل، وقال: "وصحة حرف العلة في نحوه شاذ، سواء كان أوًا أو ياء، خلافًا لأبي زيد في قياسه على ما ورد منه كأجود، وأطول، وأطيب، وأعزل، وأُعِمت السماء، وأُعِمت المرأة، وأُخِلت، فقد جاء الإعلال في جميعها" (السفاقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٤٨٤، والأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٣٥/٢). وهذا يشير إلى تفضيله للفعل (طَوَّقَ) على (أطاق) من حيث القاعدة الصوتية في الإعلال.

٣- (يُطَوَّقُونَهُ) مبنياً للمفعول، وهي قراءة ابن عباس (النحاس (ت ٣٣٨هـ)، ١٩٨٨م، صفحة ٥٨/١، ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، ١٩٦٠م، صفحة ١/١١٨)، من الفعل "طَوَّقَ"، بمعنى حَمَلَ أو أَلْزَمَ، وقد فهمت على أنها تفيده معنى التكليف أو الإلزام الشديد بالصيام.

٤- (يُطَوَّقُونَهُ) بتشديد الطاء والواو، وهي قراءة مجاهد (ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، ١٩٦٠م، صفحة ١/١١٨)، مأخوذة من الفعل (أَطَوَّقَ)، وأصله: (تَطَوَّقَ)، حيث أدغمت التاء في الطاء، فاجتلبت همزة وصل في الماضي والأمر عند بدء النطق به.

٥- (يُطَيَّقُونَهُ) وهي قراءة عكرمة (ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، ١٩٦٠م، صفحة ١/١١٨)، بتشديد الياء، على وزن (يُفَعِّلُ)، وقد نقل أيضًا عن بعضهم أنه قرأها (ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، ١٩٦٠م، صفحة ١/١١٨، وابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ١/٥١١) كذلك لكن بضم ياء المضارعة، أي على البناء للمجهول: (يُطَيَّقُونَهُ). وقد رُدَّتْ (الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ١٩٩٣م، صفحة ٣٥/٢) هذه القراءة عند بعض النحاة، لأن أصل الفعل (الطوق) (السفاقي (ت ٧٤٢هـ)، ١٩٩٨م، صفحة ٤٨٤)، والواو لا تُقلَبُ ياءً إلا لعلة صرفية معتبرة، وهي غير متحققة هنا بحسب الرأي الرفض.

وقد قال أبو جعفر النحاس: "القراءة المجمع عليها (يُطَيَّقُونَهُ)، وأصح ما فيها أن الآية منسوخة، فأما (يُطَوَّقُونَهُ) و(يُطَيَّقُونَهُ) فلا يجوزان، لأن الواو لا تُقلَبُ ياءً إلا لعلة" (النحاس (ت ٣٣٨هـ)، ١٩٨٨م، صفحة ٢٣٦/١).

أما ابن عطية، فكان له رأي صر في المسألة، إذ قال: "تشديد الياء فيها ضعيف" (ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، ٢٠٠٠م، صفحة ١/٥١١)، في إشارة إلى قراءة (يُطَيَّقُونَهُ)، لضعف القياس الصر في عليها.

ويدل هذا التعدد في القراءات على ثراء البنية الصرفية القرآنية، وانفتاحها على دلالات متباينة: بين القدرة (يُطَيَّقُونَهُ)، والتكليف الشديد (يُطَوَّقُونَهُ)، والتعبير عن المبالغة أو المشقة، مما يربط بين المعنى التعبدي والاجتهاد البدني، ويوفر أفقًا بلاغيًا لتلقي الأحكام الشرعية.

التنوع الصر في القراءات القرآنية وأثره في بناء المعنى التداولي للنص القرآني

ويبدو أن أشهر القراءات هي قراءة الجمهور بالفعل (يُطَيَّقونَه) من باب (أطاق)، وهي تدل على القدرة المشوبة بمشقة. بينما أفادت قراءات مثل: (يُطَوِّقونَه) و(يُطَيَّقونَه) التكليف القسري أو المشقة الزائدة، إلا أن هذه القراءات تُضعف الدلالة الشرعية التي أراد النص إيصالها، وهي بيان رخصة مؤقتة لفئة تستطيع الصوم بمشقة. ومن هنا تُرَجِّح قراءة الجمهور لثباتها، واعتدال دلالتها الصرفية والتداولية والفقهيّة.

الخاتمة

كشفت هذه الدراسة أن التنوع الصرفي في القراءات القرآنية، كما تجلّى في ألفاظ من نحو: (مذبذبين، مكانتكم، رمزاً...)، ليس اختلافاً في الصورة اللفظية فحسب، بل هو تنوع منتج للدلالة، يسهم في توجيه المعنى وتقويم مسارات تأويله، ويظهر ما تنطوي عليه البنية من طاقة تعبيرية تتفاعل مع السياق لإبراز المقاصد البلاغية والشرعية للنص. وقد بيّن التحليل أن اختلاف الصيغ الصرفية يوسّع المجال الدلالي، ويمنح الخطاب القرآني قدرةً أدقّ على إحكام الصلة بين البنية اللغوية ومقتضيات المقام، بما يعكس خصوصية الأداء القرآني وثرأه.

وانتهى البحث إلى جملة من النتائج أبرزها أن البنية الصرفية تؤدي دوراً حاسماً في تشكيل المعنى التداولي؛ إذ تسهم تحولاتها في تحديد الدلالة وتوجيهها بما يحقق انسجامها مع السياق. كما تبيّن أن القراءة التي تنتظم فيها العلاقة بين الصيغة الصرفية ومقتضى الحال تكون أقدر على استيفاء المعنى وإبراز المقصد، وهو ما يكشف عن قيمة الصرف في ترجيح الفهم التفسيري وتقويمه. وأظهر البحث كذلك أن البنية الصرفية والتداولية تتآزران في بناء الدلالة، في علاقة تكاملٍ لا انفصال، الأمر الذي يقتضي الإفادة من المنظور التداولي في تعميق الدرس الصرفي للقراءات. وتأسيساً على ذلك تأكد أن العناية بالبنية الصرفية تمثل مدخلاً لا غنى عنه لإدراك الأبعاد البلاغية واستنباط الأحكام، بما يعزز الوعي بمنهجية التلقي، ويفتح أفقاً أوسع لدراسة القراءات القرآنية في ضوء تكامل المستويات اللغوية وتفاعلها.

مصادر البحث

* القرآن الكريم

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر - أحمد بن محمد البُنا الدميّاطي (ت ١١١٧هـ)، تحقيق أنس مهرة، ط ٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م.
- إعراب القرآن للنحاس - أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق زهير غازي زاهد، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م.
- البحر المحيط - أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.
- التبيان في إعراب القرآن - أبو البقاء عبد الله بن الحسين العُكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٧م.
- التحرير والتنوير - محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، مصعود صحراوي، بيروت، دار الطليعة، ط ١، ٢٠٠٥م.
- تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي سلامة، بيروت: دار طيبة، ١٩٩٩م.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المّان - عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي، جدة: دار ابن الجوزي، ٢٠٠٠م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: دار هجر، ٢٠٠١م.
- حُجّة القراءات - أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ق ٤هـ)، تحقيق سعد بن عطية الغامدي،

- مكة: جامعة أم القرى، ١٩٩٨ م.
- الحجّة في علل القراءات السبع - أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق محمد جبار المعيد، بغداد: وزارة الثقافة، ١٩٨٠ م.
- الحجّة للقراء السبعة - أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١هـ)، تحقيق عبد العال سالم مكرم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧ م.
- دروس التصريف، محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٥ م.
- ديوان الأعشى - ميمون بن قيس الأعشى (ت ٧هـ)، تحقيق محمد حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م.
- السبعة في القراءات - أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠ م.
- شرح كتاب سيبويه - أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨ م.
- الصرف الوافي، هادي نهر، اربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩ م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير - محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٩٣ م.
- الكتاب - عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق محمد حسين، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق محيي الدين رمضان، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٩ م.
- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، بيروت: دار صادر، ١٩٥٥ م.

- المجيد في اعراب القرآن المجيد: ابراهيم بن محمد بن ابراهيم السفاقي (ت ٧٤٢هـ) تح عبد الرزاق عباس أحمد الاحبابي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٩٨ م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق علي النجدي ناصف، القاهرة: وزارة الثقافة، ١٩٦٠ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠ م.
- المختصر في شواذ القرآن - علي بن سليمان الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق عبد العال سالم مكرم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢ م.
- المخصص - أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق خليل محمد عساكر وآخرين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦ م.
- معاني القرآن - أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨ م.
- معاني القرآن للفراء - أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرين، القاهرة: الدار المصرية للتأليف، ١٩٥٥ م.
- معجم القراءات - عبد اللطيف الخطيب، دمشق: دار سعد الدين، ٢٠٠٢ م.
- مناهج الصرفيين ومذاهبهم، حسن هندراوي، دمشق، دار القلم، ١٩٨٩ م.
- النشر في القراءات العشر - شمس الدين محمد بن محمد ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق علي الضباع، القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى، ١٩٣٢ م.

Morphological Variation in Qur'anic Readings and Its Impact on the Construction of the Text's Communicative Meaning: An Analytical Study

Assit.Prof.Dr. Saad Sabah Jassim

Abstract

This study examines morphological diversity in the Qur'anic readings and its impact on constructing the pragmatic meaning of the Qur'anic text, through the analysis of selected words such as (Sakārā, Makaanatkum, 'Azāmā, Yuṭīqūnah...) to reveal the pivotal role of morphological structures in guiding pragmatic meaning and the extent to which morphological variations influence the understanding of the text's rhetorical and legal purposes.

The study adopts a comparative linguistic analytical approach across different readings, focusing on the integration between morphological structure and the pragmatic function of the text. The results demonstrate that morphological variations are not merely formal differences but precise mechanisms that determine the direction of meaning, regulate the relationship between the text and its context, and reveal the text's flexibility in combining multiple morphological patterns with unified pragmatic meaning. Moreover, the preference among readings primarily depends on the compatibility of morphological structure with the pragmatic function within the verse, enhancing interpretive accuracy, maintaining textual unity, and underscoring the significance of morpho-pragmatic studies in analyzing Qur'anic texts and understanding their rhetorical and legal dimensions.

Keywords: Morphological diversity, Qur'anic readings, Morphological structure, Pragmatic meaning, Linguistic analysis.